# كتاب
# العقل وفضله

تصنيف الإمام الحافظ أبي بكر عبد الله بن محمد
ابن عُبيد بن أبي الدنيا القرشي البغدادي
المتوفى سنة ٢٨١ هـ


حقّقه وعلّق عليه
لطفي محمد الصغير

أشرف عليه وترجم لمؤلفه
الدكتور نجم عبد الرحمن خلف



دار الراية
للنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

إنّ الحمد للّه نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله.

وبعد:

فإن إخراج كتاب «العقل وفضله» للحافظ أبي بكر بن أبي الدنيا في ثوب علمي قشيب جديد لهي أُمنية كانت تراودني قبل عامين حينما وقعت في يدي النسخة المطبوعة بمصر باعتناء العلّامة الشيخ محمد زاهد الكوثري، وبعد قراءتي للكتاب قراءة فاحصة ازددت تحمساً لإخراجه وذلك لاعتبارات ثلاث:

**أولاها**: إن الكتاب قد احتوى من الأحاديث الضعيفة والموضوعة ما هو معروف لكل طالب حديث، ومع ذلك فإن فضيلة الشيخ الكوثري لم يُنبه على ذلك، بل زاد في الطين بِلّة حينما عقد ترجمة لداود بن المحبر[1] في بداية الكتاب ووثقه خلافاً للحفاظ. هذا مما يجعل القارىء لهذه الأحاديث من غير أهل الاختصاص يعتقد فيها الصحة أو الحسن، فأخذت على نفسي بيان درجتها وأقوال الأئمة فيها.

---

(١) وقد عقدت ترجمة لداود بن المحبر هذا في نهاية الكلام عن وصف النسخة الخطية، وجمعت أقوال علماء الجرح والتعديل فيه، بالإضافة إلى ما قاله المعاصرون بشأن توثيق الكوثري له كاليماني والغماري.

**ثانيها**: إنّ الكتاب على صغره ـ في صورته المذكورة ـ فيه كثيرٌ من التصحيفات والتحريفات، فشيخ ابن أبي الدنيا سريج بن يونس تصحف مرة إلى سريح ومرات إلى شريح، وغير ذلك كثيراً مما ستراه أثناء التحقيق إن شاء الله تعالى.

**آخرها**: إن الكتاب قد حوى فقه السَّلف في أهمية العقل وما ينبغي أن يكون عليه العقلاء من الفطنة والحذر والحيطة وخوف الله ـ عز وجل ـ وخشيته، هذا من خلال الآثار الموقوفة والمقطوعة التي تصل نسبتها إلى ٨٧٪.

ثم شاورت أخي الدكتور نجم عبد الرحمٰن خلف في أمر الكتاب فسرَّ بذلك، وأقبل يشجعني ويدفعني إلى تحقيق هذه الرغبة النافعة. ثم أخرج نسخته الخطية من «كتاب العقل وفضله» ودفعه إليّ. ثم جرى الاتفاق على أن أقوم بإخراجه تحت إشرافه العلمي، وأن نتعاون معاً في هذا الأمر. فتولى معي ـ كما جرت عادته في الإشراف ـ مقابلة المخطوط. والوقوف عند قضاياه، ومسائله، ومشاكله، ومواطن الإبداع فيه. وفتح لي مكتبته القيِّمة بما فيها من فهارس وافرة ومخطوطات، وأخذ على عاتقه الحكم على الأحاديث المرفوعة، والترجمة لمؤلف الكتاب. أما مسائل التحقيق والتعليق والضبط فقد قمت بإنجازها إلا النزر اليسير منها وهي من الفوائد التي أضافها أخي الدكتور المشرف عند مراجعته للكتاب وتقييمه. فجزاه الله عني وعن العلم خير الجزاء.

وهذا الكتاب القيِّم «كتاب العقل وفضله» للإمام الحافظ ابن أبي الدنيا يعرض صوراً مشرقة لتوجيهات الأئمة من السلف الصالح في القرون الثلاثة الأولى الفاضلة. والتي تمثل انطباعاتهم وتأثرهم بالجو الإسلامي العام الذي كان يدور مع الكتاب والسنة حيث دارا. فهذه الكلمات التربوية ـ من هؤلاء الأعلام ـ تجسد الحركة الفكرية عند المسلمين في إطار الرؤية الشرعية، ومن منظورها الرباني.

وبالتالي فهذه النصوص المحفوظة في هذا السفر التراثي تعالج قضية جد خطيرة ألا وهي قضية «العقل» في الرؤية الإسلامية.

وقد استغل الكثير من أصحاب الأهواء والفرق الضالّة هذه القضية، واعتمدوا عليها في تنفير المسلمين من جماعة السنّة والحديث. وشنّعوا عليهم، وأشاعوا حولهم بأنهم «حشوية» وأنهم «زوامل أخبار» وبأنهم قوم قد ألغوا عقولهم، وعطّلوا طاقاتهم الفكرية والإبداعية.

وكانت هذه المذاهب والأهواء ـ وعلى رأسها المعتزلة، وفي جملتها الخوارج، والمرجئة، والإسماعيلية وغيرهم ـ قد تضع العقل ـ في بعض الأحيان ـ في مرتبة الوحي. والعياذ بالله.

فجاءت محاولة الحافظ ابن أبي الدنيا ـ في تسجيل مواقف أهل السنّة من العقل واعتنائهم به، وتركيزهم عليه ـ صفعة قوية في وجوه أهل الأهواء والبدع كما حاول أن يعالج الإفراط والتفريط في هذا الجانب الهام من تركيبة المسلم.

فنراه يضع العقل في الذروة من الملكات والطاقات بعد معرفة الله سبحانه فيروي بسنده المتصل إلى عبيد الله قوله: «ما أوتي رجل ـ بعد الإيمان بالله عز وجل ـ خير من العقل»[1].

كما يروي عن عروة أنه قال: «أفضل ما أعطي العباد في الدنيا العقل، وأفضل ما أعطوه في الآخرة رضوان الله عز وجل»[2].

وعن الحسن: «ما تمَّ دين الرجل حتى يتم عقله»[3].

وجعل تفاضل الناس بالعقول، كما تتفاضل الأشجار بالثمار[4].

---

(١) انظر رقم (١٧).

(٢) انظر رقم (١٨).

(٣) انظر رقم (١٩).

(٤) انظر رقم (٣٣).

وأكد أن العقل عقلان؛ عقل طبيعة، وعقل تجارب[1]، ثم راح يحشد النصوص التربوية التي تعالج قدح زناد الفكر، وتعمل على نضوج العقل وتطويره وإثرائه. كالحرص على مجالسة العقلاء وأهل الفضل من العلماء والنبلاء[2]. وحفظ التجارب وتخزينها[3]، والاتعاظ بتجارب الغير، واستعمال المجاهدة لعقل النفس وضبطها عن الأهواء[4]، والعناية بالعلم والتعلم فهو دليل العقل ومرشده[5]، والحرص على استشارة أهل الرأي والفطنة [6] فهو بذلك يجمع عقلين في شخصه. وكذا يضم رأيه لرأي الجماعة ولا يشذ عنها. فرأي الجماعة باجتماع عقولهم مبرمة لصعاب الأمور. كما قال سفيان الثوري [7] . إلى آخر هذه السبل والوسائل العملية الكثيرة.

ولم يغفل الحافظ ابن أبي الدنيا الوسائل السلبية التي تشوش العقل وترديه، وتهبط به، فانبرى للتنبيه عليها، وحذر من أصحابها، وساق العديد من النصوص الموضحة لذلك.

وبهذه النصوص ونظائرها حاول أن يعالج المؤلف ـ بتوجيهاتها ودلالتها ـ جانب التفريط في طاقة العقل، وإعمال الفكر. وهي نصوص خطيرة وجليلة في بابها تكشف عن الفكر المنهجي عند المحدثين، وتميط اللِّثام عن عنايتهم الوافرة بهذا الجانب الحيوي من تركيبة المسلم فالإسلام قد عُني بالعقل والفكر عنايته بالروح والجسد. والمحدثون هم أول الناس انطباعاً وتأثراً بالتوجيهات الإسلامية، لما عُلم من حرصهم وتجاوبهم مع

---

(١) انظر رقم (٣٦).
(٢) انظر رقم (٣).
(٣) انظر رقم (٣٦، ٣٧).
(٤) انظر رقم (٣٥، ٣٨).
(٥) انظر رقم (٤١، ٤٤، ٤٥).
(٦) انظر رقم (٤٦).
(٧) انظر رقم (٤٧).
(٨) انظر رقم (٣١).

نصوص الكتاب والسنّة. وآيات التفكر والتدبر والنظر وإعمال العقل تمتلأ بها آيات القرآن الكريم. وكذا بالنسبة للسنّة المبينة المفصِّلة لهذه التوجيهات الكريمة.

وبهذا تندفع الفرية التي تقول بأن المحدثين أهملوا العقل ولم يعنوا به العناية الوافية. وكيف لا والمحدثون قد أعملوا عقولهم واجتهاداتهم في المرويات الحديثية فكشفوا عن عللها وآفاتها، وأعملوا عقولهم في أعبد الناس وأورعهم وأصلحهم فقبلوا البعض وردوا الآخر وقدحوا ومدحوا. كل ذلك من خلال حركتهم المباركة في تمحيص السنة وحملتها في ضوء منهج فكري وعقلاني منظم ومبرمج وممحص.

أما جانب الإفراط في استعمال العقل فكان له حجمه وأهميته في ثنايا الكتاب. فقد كان هذا الإفراط آفة العصر آنذاك، وكان يرفع لواءه المعتزلة. فحرص الحافظ ابن أبي الدنيا أن يضع العقل في موضعه من غير إفراط فأخرج العديد من النصوص السلفية التي تعالج هذا الشطط والإسراف. فالعقل كأي طاقة بشرية له حدوده وقدراته، فإذا جاوزها اضطرب وتفاوت وجاء بكل أمر مريج. وقد أخرج بإسناده المتصل أنه «لا ينبغي للعاقل أن يعرض عقله للنظر في كلِّ شيء، كما لا ينبغي أن يضرب بسيفه كلَّ شيء»[1] وهي عبارة معبرة، عميقة المغزى والدلالة.

والصلاح في منظور السلف ـ رحمهم الله ـ لم يقف عند تألق الجانب التعبدي فحسب، أو الجانب العلمي فحسب، أو الجانب السلوكي الحركي فحسب. وإنما هو امتزاج سوي، وتشكيلة متزنة، ينبغي أن تأخذ حظها في شخصية المسلم وتكوينه دون اختلال، كلٌّ حسب إمكانه واستعداده. وهذا هو معيار الصلاح وضابطه.

أخرج المصنف بإسناده عن الضحاك بن مزاحم أنه قال: «ما بلغني عن

---

(١) انظر رقم (٤٨).

رجل صلاح فاعتدت بصلاحه حتى أسأل عن خلال ثلاث، فإن تمّت تمّ له صلاحُهُ، وإن نقصت منه خصلةٌ كانت وصمة عليه في صلاحه».

اسأل عن عقله فإنَّ الأحمقَ يفعلُ (صلاحاً عنده)[1] ربما[2] هلك وأهلك فِئاما مِنَ الناس، يمرُّ بالمجلس فلا يُسلِّم. فإذا قيل له. قال: من أهلِ دنيا. ويترك عيادة الرجل من جيرانه، فإذا قيل له. قال: من أهل دُنيا. ويدع الجنازة لا يتبعها لمثل ذلك ويدع طعام أبيه يبرد فإذا هو قد صار عَاقّاً.

واسأل عن النعمة العظيمة التي لا نعمة أعظم منها ألا وهي الإسلام، فإن[3] كان أحسن احتمال النعمة ولم يُدخلها بدعة ولا زيغ وإلا لم أعتد به فيما سوى ذلك.

واسأل عن وجه معاشه فإنْ لم يكن له وجه معاشٍ لم آمن عليه، فأظل[4] بخلافه أقرب ما يكون من أجلِهِ.

رحم الله الضحاك بن مزاحم وإخوانه من السلف الصالح الذين امتازت شخصيتهم الإسلامية بالشمول والتكامل في كلِّ جوانبها. فلا خير في صلاح المسلم وعبادته إن لم تكن وفق السنة، متوجهاً بها إلى الله، ولا اعتداد بصلاحه إن لم يكن فكره وعقيدته ومسلكه منضبطاً بمنظار الشرع ومنهاجه. ولا فضل في ذلك إن لم يكن له عقل موزون يرشده إلى وضع النصوص في مواطنها. ولا خير في كلِّ هذا إن لم يكن له كسب شريف يتقوّت به. فإنه لا خير فيمن يأكل بدينه، فيتكسّبُ به ولا ينفق عليه. وقديماً كان يقول الثوري: «عليك بعمل الأبطال الكسب من الحلال والإنفاق على العيال».

---

(١) في «الأصل» والمطبوعة: (صلاح عند) وقد أثبتنا الأنسب للسياق.
(٢) في «ط» إنما.
(٣) في «ط» إن.
(٤) في «ط» فأظل.

إلاَّ أنَّ اشتمال الكتاب على هذه المزايا والمحاسن لا يعني رضاؤنا التامّ عن كلٍّ ما جاء فيه. فإنّ الحافظ ابن أبي الدنيا وإن وُفِّق إلى حسن المقصد، ونبيل الهدف إلاّ أنه توسع في استعمال الوسيلة للوصول إلى غايته. فأحوجه الموضوع إلى إخراج جملة من الأحاديث المرفوعة إلى النبي - ﷺ - وهي في غاية الضعف والتهافت. وهو وإن كان قد أخرجها مسندة بَيِّنة غير أنّه كان يكفيه ما أخرجه من نفائس آثار الصحابة، ودرر أقوال التابعين وتابعيهم. وهو المؤرخ الثقة الصدوق. ولو أنه صنع ذلك واكتفى به لنزَّه كتابه عن هذه الواهيات التي لا تعضد الهدف، ولا تسعف المصنف.

بيد أن المصنف قد تحمّلَ هذه الأحاديث الواهية عن شيوخ ثقات أثبات كعلي بن الجعد، ويعقوب بن إسحاق القلوصي، وأبي كريب محمد ابن العلاء، وسريج بن يونس المروزي. وبهذا تكون الآفة في رواية هذه الأحاديث ليست من جانب ابن أبي الدنيا، ولا من شيوخه المباشرين، وإنما جاءت ممن فوقهم من الرواة.

أسأل الله ـ سبحانه وتعالى ـ أن يرحم ابن أبي الدنيا على حسن مقصده من وراء وضعه لهذا المصنف وغيره من المصنفات النافعة الهادفة، وأن يرحمنا، وينفعنا وينفع بنا، وأن يبارك لنا فيما منَّ به علينا..

# دوافع تأليف الكتاب

إن التصنيف عند أولي الحِجا عادة ما يكون لسبب وضرورة، وأي تصنيف من غير ضرورة واحتياج إليه غالباً ما تكون الاستفادة منه قليلة، بل ومعدومة أحياناً. فالمصنف الموفق هو الذي يُعاين احتياجات المجتمع في فَنِّه ويصنف فيها، والمربي هو أحوج ما يكون لأن يدرس حاجات المجتمع، ويعاين أمراضه لينطلق منها إلى معالجتها، والبت فيها.

فالتصنيف إذاً يكون لرغبة في النفس، أو لنصرة هوى، أو حباً في الظهور ـ كما يراه البعض ـ بل هو منطلق من معاناة، ورغبة صادقة مُلحَّة لتغيير خطأٍ، أو معالجة مُشكلٍ من مشاكل المجتمع[1].

---

(١) وكذلك التحقيق والنشر، فيجب أن يخضعنا لاحتياجات المجتمع ومتطلباته، إذا ما أردنا أن نخدم مجتمعنا بصدق.

فالمحقق المُوفَّق هو ذلك المحقق الذي يبحث عن موضوع يمس المجتمع ويعالج مشكلاته، ويقدّم له شيئاً في طريق عودته للنهج السليم، وتخليصه من الأمراض التي فتكت به. ويا حبذا لو تساءل كل محقق ـ قبل أن يهم بتحقيق مخطوط ما ـ ما الغاية من هذا التحقيق؟ ما هي النتائج المتوخاة من تحقيقه؟ وهل سينتج سلبيات أم لا؟ وهكذا.

وهذا مطروح على الناشرين والمؤلفين أيضاً.

وكم وقف أحدنا مشدوهاً متسائلاً أمام بعض الكتب التي تناولت الخلافات المذهبية والسياسية في بعض العصور، والكتب التي تبحث في حركات ومذاهب انقرضت ولم يعد لها نصيب في الواقع كالمعتزلة، والمرجئة، والخوارج، =

والمتتبع لتصانيف ابن أبي الدنيا يجد هذه الناحية متجلية فيها، حتى إننا نكاد لا نقف على كتاب من كتبه المُصَنَّفة إلا ونلحظُ من وراءه هدفاً تربوياً، ومقصداً شرعياً.

وكتاب «العقل» كغيره من كتبه لا بُد وأن هناك دافعاً قوياً جعل ابن أبي الدنيا يُقْدِم على تأليف هذا الكتاب. وهذا الدافع يتجلى لنا بوضوح من خلال دراسة العصر الذي عاش فيه ابن أبي الدنيا، فبرجوعنا إلى ذلك العصر ـ القرن الثالث الهجري ـ نجد التناطح بالأفكار بين المذاهب الفكرية والسياسية ـ من معتزلة، وخوارج، ومرجئة، وإسماعلية ـ على أشده، وكانت بعض تلك المذاهب وأهمها المعتزلة، تضع العقل في مرتبة تفوق مرتبة الوحي، وَتَتَّهِمُ أهلَ السُّنَّة بعدم اعتبار العقل، ومساواة العاقل والمجنون، بل بتفضيل المجنون على العاقل معتمدين على حديث لا يصح يدندن به جهلة المتصوفة وهو «أكثر أهل الجنة البله»[1] فانبرى ابن أبي الدنيا للدفاع عن

---

= والإسماعلية، والكتب التي تتناول التصوف بغلو وغير ذلك من الكتب، ما الفائدة من إخراجها؟ ومن المستفيد المسلمون أم أعداؤهم؟ وأرى أننا بحاجة لنظرة تأملية واعية، وإعادة تفكير بما يُحقق ويُطبع ويُنشر، لأن هذا النتاج سيقع في يد الناشئة، ولرب نافعة للمحقق والناشر ضارّة للمجتمع والأمة، فالتأني التأني معاشر المحققين والمؤلفين والناشرين حتى تؤجروا، وتؤدوا رسالتكم بأمانة.

(١) أخرجه ابن عديّ في «الكامل» ٣/١١٦٠، وقال: وهذا الحديث بهذا الإسناد منكر، لم يروه عن عقيل غير سلامة. وأخرجه الذهبي في ترجمة سلامة في «ميزان الاعتدال» ٢/٢٨٣، وسلامة هذا قال عنه أبو زُرعة: منكر الحديث.

وأورده الغزالي في «الإحياء». وقال العراقي: رواه البزار من حديث أنس ضعيف وصححه القرطبي في التذكرة وليس كذلك فقد قال ابن عديّ: منكر، وذكر الزبيدي في «الاتحاف» ٢/٢٤٤ أن ابن الجوزي قال: حديث لا يصح، وقال الدارقطني: تفرّد به سلامة عن عقيل وهو ضعيف.

وأورده الهيثمي في «المجمع» ٨/٧٩، ١٠/٢٦٠، ٤٠٢، وقال: رواه البزار وفيه سلامة بن روح وضعّفه الزرقاني في «مختصر المقاصد الحسنة» ص ٦٤.

فالذي يتبين لنا أن مدار هذا الحديث على سلامة بن روح، وسلامة هذا وإن =

أهل السُّنَّة، وتبيين نظرتهم إلى العقل، ومكانته من غير إفراط ولا تفريط، فجمع ما استطاع إليه سبيلاً، من نصوص مرفوعة وآثار موقوفة ومقطوعة، بالإضافة إلى الأشعار ليؤكد سداد نظرة أهل السنّة إلى العقل، وأنهم أنزلوه المنزلة اللائقة به.

ولئن استطاع ابن أبي الدنيا، إظهار رأي أهل السنّة في «العقل» وما يجب أن يكون عليه العقلاء من حزم وحلم وعصيان هوى. من خلال النصوص الموقوفة والمقطوعة التي جمعها والتي تصل نسبتها إلى أكثر من ٨٥ ٪ من الكتاب، فإن ما يؤخذ عليه إيراده لأحاديث مرفوعة منها الضعيف ومنها الموضوع. ولكن نستطيع أن نعتذر له بأنه أسند الكتاب، ومن أسند لك فقد كلّفك مؤونة البحث والنظر في الأسانيد، وسأعالج هذا الأمر أثناء التحقيق، وسأستوفي ـ بإذن الله ـ الكلام على الأحاديث المرفوعة من حيث السند والمتن.

---

= ذكره ابن حبان في الثقات فإن عدداً لا بأس به منهم قد ضعفه خاصة إذا تفرد. فالحديث لا يصح وهذا أقل ما يقال في الحديث سنداً، بالإضافة إلى أن متنه يخالف النقل والعقل، فالله تعالى عندما خاطب الناس كان يعقب خطابه بتذكرة أولي الألباب ودعوتهم للتفكر والتدبر وغير ذلك.

# درجة أحاديث العقل

إن الأحاديث المرفوعة التي جاءت في فضل العقل لا تصح نسبتها إلى النبي ـ ﷺ ـ، وقد تناولتها بالنقد أثناء تخريجي للكتاب فجاءت بين ضعيف وموضوع، ولهذا جزم بعض الأئمة بعدم وجود أحاديث صحاح مرفوعة في فضل العقل.

قال العراقي في «تخريجه الكبير على الإحياء» ورقة ١٥: وهذه الأحاديث التي ذكرها[١] في العقل كلها ضعيفة، وتعبير المصنف في بعضها بصيغة الجزم مما ينكر عليه، وبالجملة فقد قال غير واحد من الحفّاظ أنّه لا يصح في العقل حديث».

وقال ابن حبان في «روضة العقلاء» ص١٦: لست أحفظ عن النبي ـ ﷺ ـ خبراً صحيحاً في العقل، لأن أبان بن أبي عياش، وسلمة بن وردان، وعمير بن عمران، وعلي بن زيد، ومنصور بن صقير[٢]، وعباد بن كثير، وميسرة بن عبد ربه، وداود بن المحبر ليسوا ممن احتج بأخبارهم فأُخْرج ما عندهم من أحاديث العقل.

فأحاديث فضل العقل المرفوعة في هذا الكتاب وغيره، لا تصح نسبتها

---

(١) أي الإمام الغزالي في كتابه: إحياء علوم الدين.

(٢) في «روضة العقلاء» صغر، وهو تصحيف.

إلى النبي - ﷺ - ولا يجوز رواية أحدها بصيغة الجزم، لكن هذا لا يعني إسقاط قيمة هذا الكتاب، ذلك لأن الأحاديث المرفوعة فيه لا تتجاوز نسبتها ١٣ ٪ من مجموع الكتاب.

**داود بن المحبر:**

ويلحق بالكلام على درجة أحاديث العقل الكلام عن داود ودرجته من حيث الرواية والضبط، وذلك لاعتبارين:

**أولاً** : لما قام به الشيخ الكوثري من تبرئة لساحة هذا الرجل، بل زاد أن وثّقه ووصفه بأنه جاز القنطرة.

**ثانياً** : لأن بعض أحاديث الكتاب جاءت من طريقه.

ولم أرد في هذه الترجمة الموجزة استقصاءً بل سأجمع أقوال جمع من أئمة الفن في شأن هذا الرجل مأخوذة من «تهذيب الكمال للمزّي»[1]:

«قال عباس الدوري: سمعت يحيى بن معين وذكر داود بن المحبر، فأحسن الثناء عليه وذكره بخير، وقال: ما زال معروفاً بالحديث يكتب الحديث، وترك الحديث ثم ذهب فصحب قوماً من المعتزلة فأفسدوه وهو ثقة.

وقال ابن المديني: ذهب حديثه.

وقال النسائي: ضعيف.

وقال صالح بن محمد البغدادي: ضعيف صاحب مناكير، وقال في موضع آخر: يكذب ويضعف في الحديث.

وقال الدارقطني: «متروك الحديث».

وقد جمع الحافظ ابن حجر خلاصة الآراء فيه، فقال: «متروك، وأكثر

---

(١) تهذيب الكمال: ١/ ٣٩٠.

كتاب العقل الذي صنفه موضوعات»[1].

لذا أنكر بعض المعاصرين على الشيخ الكوثري هذا الصنيع فقال عبد العزيز بن محمد بن الصديق: «ومن العجيب محاولة الشيخ زاهد الكوثري ـ رحمه الله تعالى ـ في المقدمة التي كتبها لكتاب «العقل وفضله» لابن أبي الدنيا بتبرئة ساحة داود بن المحبر من التهمة الملصقة به من جمهور أهل الحديث في شأن حديث العقل معضداً في ذلك على من مشى حاله من أئمة الجرح، ولكن غاب عن الشيخ الكوثري ـ رحمه الله تعالى ـ أنه رغم ثناء من أثنى عليه لعبادته فإنه لم يبري ساحته من إلصاق التهمة به من جهة الخطأ وعدم الضبط، والراوي كما يحكم على حديثه بالوضع لكذبه وعدم صدقه كذلك يحكم بوضعه لخطئه ووهمه وهذا معروف عند أهل الحديث. على أن داود بن المحبر من كذّبه وطعن فيه بالوضع أكثر ممن أثنى عليه، ومن طعن فيه فسّر جرحه، والجرح المفسر مقدم على التعديل كما هو معلوم، يضاف إلى هذا أن داود اتصل بالمعتزلة وأفسدوه كما قال ابن معين رغم توثيقه له في روايته، والمعتزلة معروفون بالغلو في تحكيم العقل وتقديمه على الرواية في دين الله تعالى، فغير بعيد أن يكون داود بن المحبر جمع كتاب «العقل» انتصاراً لهم وتأكيداً لمذهبهم المظلم.

والراوي الثقة يُضعّف حديثه عند جمهور أئمة الجرح إذا روى ما يؤيد بدعته ونحلته، فكيف به إذا كان ضعيفاً مجروحاً كما هو حال داود بن المحبر.

فلهذا أرى دفاع الشيخ الكوثري ـ رحمه الله تعالى ـ عن داود غير معقول ولم يسلك فيه طريق الجادة»[2].

---

(١) تقريب التهذيب: ١/٢٣٤.

(٢) التهاني في التعقيب على موضوعات الصغاني.

## كتاب «العقل وفضله»
## لابن أبي الدنيا ومكانته بين كتب العقل

لقد صنّف جمع من العلماء تصانيف عدة في العقل وفضله، وجاءت تصانيفهم هذه مرآة تعكس ما يحملونه من مذاهب سنيّة وشيعية ومعتزلية.

ومع عدم اطلاعنا على بقية كتب العقل، إلا أننا نكاد نجزم أن كتاب ابن أبي الدنيا أجودها جميعاً وذلك لعدة اعتبارات:

**أولها** : أنه أسند كل ما في الكتاب من أحاديث، وآثار، وأشعار.

**ثانيها** : أنه لم يكثر من الأحاديث المرفوعة شعوراً منه بعدم صحتها.

**آخرها** : أنه يمثل الاتجاه الوسط بين المغالي والمفرط في حق العقل، فجاء كتابه كأحسن ما يكون من حيث جمعه لآثار عن السلف لم تتفق لغيره.

# ترجمة الإمام ابن أبي الدنيا

بقلم الدكتور
نجم عبد الرحمٰن خلف

**اسمه ونسبه:**

عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس، أبو بكر القرشي، الأموي، مولاهم، البغدادي الحنبلي[1]، المشهور بابن أبي الدنيا[2].

ولد ببغداد سنة ٢٠٨ هـ - ٨٢٣ م، في عهد الخليفة المأمون

---

(١) في هدية العارفين للبغدادي: ٤٤١/٥، «الشافعي» وهو خطأ.

(٢) مصادر ترجمته: ابن أبي حاتم - الجرح والتعديل: ١٦٣/٥، ابن النديم - الفهرست: ١٨٥/١، الخطيب - تاريخ بغداد: ٨٩/١٠ - ٩١، ابن أبي يعلى - طبقات الحنابلة: ١٩٢/١ - ١٩٥، المسعودي - مروج الذهب: ١٢/١ - ١٣، ٥٠/٥ و١٧٤، ابن الأثير - الكامل: ١٥٥/٧: السمعاني - الأنساب: ٩٦/١٠ - ٩٧، ابن الجوزي - المنتظم: ١٤٨/٥ - ١٤٩، المزي - تهذيب الكمال ٣٩٥/٧ ب، الذهبي - سير أعلام النبلاء ٣٩٧/١٣ - ٤٠٤ وتذهيب الكمال ١٨٤/٢ ب، وتذكرة الحفاظ: ٦٧٧/٢ - ٦٧٩، والعبر: ٥٦/٢، ومختصر دول الإسلام: ١٣٣/١، ابن كثير - البداية والنهاية: ٧١/١١، ابن تغرى بردي - النجوم الزاهرة: ٩٦/٣، ابن شاكر الكتبي - فوات الوفيات: ٤٩٤/١ - ٤٩٥، ابن حجر - تهذيب التهذيب: ١٢/٦ - ١٣، وغيرهم. وانظر ترجمته المفصَّلة في مقدمة «كتاب الصمت وآداب اللسان» لكاتب الترجمة.

(ت ٢١٨ هـ) آخر العصر العباسي الأول، في عهد الحضارة الإسلامية الذهبي.

في هذه المدينة العامرة الزاخرة (بغداد) نشأ ابن أبي الدنيا حيث المحدث والفقيه والمؤدب والزاهد هم أبناء هذا المجتمع ومادته، وكان لظاهرة العلم والزهد أبلغ الأثر في بناء شخصية ابن أبي الدنيا وتكوينه العلمي.

**بيئته التي نشأ فيها:**

كانت أسرة ابن أبي الدنيا أسرة خير وفضل، وبيته بيت علم وصلاح.

فأبوه من العلماء المهتمين بالحديث وروايته، مما ساهم في نشأته العلمية، وتكوينه في وقت مبكر.

فحببته أسرته في العلم والعلماء، ودفعت به إلى حلق العلم، فأقرأته القرآن، والفقه، وحببته في سماع الحديث وكتابته. وبحكم أَنَّ والده كان أحد العلماء فقد مَكَّنَهُ ذلك مِنَ السماع من أعلام العصر وحفاظه وَسِنُّه دون البلوغ، ومِنْ هؤلاء الحفاظ سعيد بن سليمان الواسطي ـ سعدويه ـ (ت ٢٢٩ هـ)، وأبو عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤ هـ)، وخالد بن خداش البصري (ت ٢٢٣ هـ)، فأدرك بهؤلاء وطبقتهم إسناداً عالياً، وشارك أصحاب الكتب الستة في كثير من شيوخهم. وقد دلّت بعضُ الروايات على أنَّهُ استقل وأخذ يطوف على المشايخ بنفسه، وسنّه دون العاشرة[1].

وبهذه العناية المركّزة والمبكرة من أسرة ابن أبي الدنيا، وبما كان له

---

(١) الخطيب البغدادي ـ تاريخ بغداد: ٩٠/١٠، ابن حجر ـ تهذيب التهذيب: ١٣/٦، وانظر ابن الجوزي: المنتظم: ١٤٨/٥. وهي رواية إبراهيم الحربي في السماع من عفان بن مسلم الصفار والمعروف عن عفان أنه اختلط في ٢١٩ هـ ـ أي قبل وفاته بعام أو أقل ـ وقد تركوا السماع منه بعد اختلاطه، وسيأتي الكلام عليها في منزلته العلمية.